

الطوسي، وملا صدرا، في أصول العقائد حول إثبات المبدأ، والصفات الثبوتية والسلبية، وحول تنزيه الذات الإلهية، وكيفية صدور الأشياء عنه تعالى لوجودنا، أن ما استنبطه فلاسفة أرجح، وأقرب إلى الإسلام.

نعم، إن الفلسفية تأثرت بالقرآن؛ لأنه ليس شيئاً بسيطاً يمكن أن يُتجاهل، أو يُستخفّ به، فالفارابي نفسه نراه يستشهد بالقرآن في أكثر من مورد، و«فصول الحكم» متاثر بالقرآن بشكل واضح.

### - ماذا تقول الفلسفه وماذا يقول الفلسفه؟

يعتقد الفلسفه بعدم جواز الاستناد إلى ظواهر القرآن أو غيره في «المستقلات العقلية»، بل يقولون: كلما ثبت لدينا مطلب ما بالأدلة العقلية، نتوجه إلى القرآن الكريم لنرى هل يتتطابق معه أو لا؟ لأن العقل لا يعارض الشرع بل يتفق به، ويستفيد من هديه. وفائدة الشرع للعقل أنه يضبط له حدوده، ويسيره، ويهديه. من هنا يقول ملا صدرا في كتابه «رسالة سه اصل» (رسالة الأصول الثلاثة): لقد بحث الفلسفه المسلمين كثيراً من مسائل ما وراء الطبيعة، كصفات «الحق» وذاته، والملائكة، وعالم البرزخ، وغير ذلك من المسائل، ومع ذلك لم يكتب حول المعاد سوى عدد محدود من الصفحات...

(ويعلل صدر المتألهين ذلك) بأن العقل لا يدرك مسألة البعث بعد الموت، ولا يحيط بأولياتها، فضلاً عن تفصيلاتها، وفروعها، وهناك الكثير من الآيات، والروايات حول المعاد، وشأنه، كالصراط، والميزان، والبرزخ، وغيره. ولا نجد في كتب الشيخ (ابن سينا) إلا القليل؛ وسبب ذلك أنه حاول - كغيره من الفلسفه - أن يعتمد على العقل وحده في هذه الأمور. كتب في الشفاء والنجاة ما بين خمس وست صفحات رغم أهمية المسألة! وأما ملا صدرا، فإنه ولأنه بكلمات القرآن والأئمه عليهم السلام فاق - في كتابه الأسفار - ابن سينا بدرجات، بحيث لا يمكن المقارنة بين «سفر النفس» من كتابه، وبين شفاء أبو علي ابن سينا من ناحية اهتمامه بالروايات، وعدم الاعتماد على العقل وحده. وصفوة القول، إنه لا تعارض بين العقل والشرع، بل نحن ندعى بأن «أرسطو» لو أدرك النبي ﷺ لـالإسلام.

ليس القرآن نصاً سهلاً يمكن لأي فيلسوف أن يقف في مقابله، بل هو نص راقٍ...  
كلما غصت وتعمقت في فهم أسراره، وجدت نفسك عاجزاً عن إدراك كنهه.

## التفكير العقلي والفلسفي في الإسلام

مع الاستاذ جلال الدين الأشتياياني



ترجمة: الشيخ محمد زرقط

الأستاذ جلال الدين الأشتياياني محقق إسلامي، عُرف عنه تخصصه بالفلسفه الإلهية التي أرسى معالجتها الفيلسوف صدر الدين الشيرازي وله فيها العديد من الكتب والتعليقات، داع صيته عبر مجموعة الكتب التي حققها في مضمار الفلسفه الإسلامية، منها على سبيل المثال لا الحصر: المظاهر الإلهية (للشيرازي)، أصول المعرف (للكاشاني)، مجموعة (آثار الحكماء) في خمسة مجلدات، في هذا العدد يجيب الأشتياياني على عدد من الأسئلة التي توضح العلاقة بين التفكير العقلي والفلسفه في الإسلام والقرآن الكريم، كما يوضح غایيات الفلسفه وسبب مواجهة الغزالي لها.

### - هل يمكن القول بمنشأ قرآني للفلسفة؟

﴿ لا بد من الاعتراف . بداية . وقبل الإجابة على السؤال، أنَّ القرآن ليس أمراً بسيطاً، بحيث يمكن لكل من عرف العربية أن يغوص في أعماقه، ويستخرج منه فلسفة، أو عرفاً، وهذا هو سبب القول بالتلازم بين العترة والقرآن؛ أن كل من استقل في فهمه للقرآن وقع في الاشتباه . لاحظوا أنَّ «المعتزلة» يرجعون في كل اعتقاداتهم إلى القرآن، و«الأشاعرة» يعتمدون في تشييد مذهبهم على القرآن والأحاديث، وكذلك المجسمة، والحنابلة أيضاً كذلك . وقد تحدثت مع بعض الناس ممن يعتقدون، بأنَّ ما ليس جسمًا أو جسمانياً لا يمكن تصوّره، فالله جسم . ويقولون بانعدام روح النبي ﷺ ثم إنَّ الله يوجدها بعد ذلك، وهو لاءٌ جميعاً يستندون إلى القرآن في كل هذه الاعتقادات .﴾

ولو عقدنا نوعاً من المقارنة بين هذه الأفكار التي استخرجها المتكلمون من القرآن، وبين ما فاضت به قرائح فلاسفة: كالفارابي، وابن سينا، والخواجة نصیر الدین

وأما الأئمة عليهم السلام فيقولون: «استر بغير ستر مستور» و«احتجب بغير حجاب ممحوب» وفي القرآن: «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» فهم يقولون بأن هذا هو طريق الأنبياء ولكن لسنا مأموريين بذلك، ولسنا أيضاً من يستدل بالظواهر كالمتكلمين، بل نعتمد على البرهان لإثبات العقائد الإسلامية، وبعد ذلك نعرضه على القرآن والسنة، ولا نعتمد على العقل وحده، فلا يمكن للفيالسوف أن يتبنى رأياً دون دليل.

يتساءل ابن سينا في كتابه الشفاء حول المعاد الجسماني ويجيب أن النبي ﷺ ألغنا عن البحث في هذه المسألة، ولا طريق للعقل إلى كثير من تفاصيل المعاد، وبعد ذلك يبحث عن المعاد الروحاني، وكيفية العذاب العقلي.

- ما هو أثر التفكير الفلسفي في فهم الحديث والسنّة؟

- يصعب فهم كثير من الروايات بدون الفلسفة، وهناك أمر مهم هو تشخيص الأحاديث الصحيحة من الضعيفة. رحم الله السيد البرجرودي الذي كان يرى بأن الأصل الأولي في أغلب الروايات - التي تمدح البلدان أو تذمها، أو تتحدث عن خواص بعض أنواع الفواكه، أو تتعرض ل مدح بعض الأفراد وبيان فضائلهم . عدم الصحة؛ لأن الشيعة والسنّة اخترعوا هذه الأحاديث تأييداً لأنفسهم، فالبعض يعتقدون بعدم حرمة وضع الحديث بغرض نصرة الحق... يوجد في كتاب «بحار الأنوار» خمسة وعشرون حديثاً حول الإمامة، متنقلة من الصحاح المعتبرة عند السنّة إلا أننا لم نجد لها لا في الكتب المطبوعة، ولا في المخطوطات القديمة، حتى إننا فتشنا في كتاب يعود تاريخه إلى ثمانمائة سنة سابقة ولم نجد فيه واحداً من هذه الأحاديث. من جهة ثانية فإن الأحاديث التي نقلت هي أقل بكثير من ما كان موجوداً، فحديث «إني تارك فيكم التقلين...» روی عند العامة لثمانمائة راوٍ، وكذلك الروايات التي تتحدث عن وجود اثنى عشر إماماً من بينهم المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، رویت بكثرة، إلا أن الجو الحاكم كان يمنع من تناقلها، ومع كل ذلك وصل إلينا ما فيه الكفاية.

وما أريد قوله هو أن هذه الروايات التي وصلت، إذا أردنا التمسك بها في الأمور الاعتقادية كالتوحيد، فهي إماً نص أو ظاهرة في معناها، وحتى لو كانت نصاً فهي غير متواترة. ولا بد من توفر ميزان لمعرفة صحيح الأخبار من فاسدها، فليست كل الروايات تدل على كونها صادرة عن الإمام علي عليه السلام، نعم هذا موجود في بعض الروايات، فهناك

ومشكلة المتكلمين أنهم بحثوا في القرآن دون الاستعانة بالعقل، ولم يكن عندهم تفكير عقلي يعتمدون عليه، ولو كان لأعرضوا عنه، ولهذا نجد «المشبهة» يستدلون بالقرآن و«المنزهة» كذلك، بل الذين خلطوا بين التنزيه والتشبيه يرجعون إلى القرآن أيضاً.

وأما الفلاسفة فإنهم أسسوا أصولهم الاعتقادية واشتغلوا عليها، ورجعوا إلى الحديث، والكتب المختلفة كالكافي والقرآن، فوجدوا أن القرآن وأحاديث الأئمة جمعت بين التشبيه والتنزيه. (الفلاسفة القدماء - قبل الإسلام - توصلوا إلى بعض هذه الحقائق) الغزالى الذى كتب ردًا على الفلسفة يقول في كتابه: «إن الماديات كانت موجودة في اليونان قبل أرسطو فجاء وقضى عليها وأراحنا» ومع ذلك عاد وهاجم أرسطو، ومن حرر أقواله وشرحها من فلاسفة المسلمين كالفارابي، والشيخ، وكفرهم واتهمهم بمخالفة الشرع. ولكن الواقع أن الإشكالات التي يوجهها إلى الفلسفة والفلسفه غير واردة عليهم.

## **ما هو الطريق الذي سلكه الفلسفه ؟**

- لقد أثر الاسلام في الفلسفة، وهذا أمر يعترف به فلاسفة كبار: كالشيخ ابن سينا والفارابي. فالأنبياء أتوا لهداية البشر، وليس طريقة الأنبياء طريقة أهل الظاهر. بل يعتبر هؤلاء الفلاسفة أن الاستدلال هو طريقة أهل الظاهر، حيث يقولون: إن متابعة طريقة أهل الباطن لا تخلو من المصاعب؛ لذلك فإن الشرع يؤسس المعرفة على العمل والعلم معاً؛ أي إن الإنسان الذي يعتمد البرهان وحده دون التقوى لا يكون صافي الروح، وهذا يولد انحرافاً في مدركاته حيث إن العلم مفاض من الله سبحانه.

فالفلسفه يعتبرون بأن الأنبياء، وخاصة النبي ﷺ يدعون الناس، أولاً وبالذات إلى الباطن، أي يدعون إلى فتح عين الباطن والقلب، وبعد ذلك يستدلون بالآيات والبراهين. ولكن بما أن كثيراً من الناس لا يملكون هذا الاستعداد (أي تفتح الباطن)، حتى كثيراً من المحققين لا يملكون ذلك الاستعداد. هنا العجز دعا إلى اتباع طريقة أهل الظاهر؛ أي الاستدلال العقلي. والفرق بين المتكلمين والفلسفه، ان المتكلمين يستدلون بالمشهورات والقضايا غير القطعية، بينما الفلسفه لا يعتمدون سوى البراهين القطعية، وإن طريقة كل من الفلسفه والمتكلمين هي طريقة أهل الظاهر، فنحن بالفلسفه نحصل على العلم بوجود مبدأ للوجود: (وفي أنفسهم أفالا يصررون).

فإنه كان يقول لي: «من المهم جداً أن يقوم الإيرانيون بهذا العمل»، مثلاً مباحث النفس، وأبحاث النباتات والحيوانات والانسان لو أنها تبحث من جديد، وينمط حديث لوجتنا فيها مطالب في غاية الأهمية.

لم يكن عندنا أستاذ متخصص في فلسفة الاسلام وفلسفة ملا صدرا إلى زمان «الاخوند النوري»، فهو تلميذ «محمد بيد آبادي» إلا أن هذا الأخير لم يكن متخصصاً في الفلسفة الإسلامية. وأما «الاخوند النوري» فكان يدرس الأسفار وله من العمر خمسة وعشرون عاماً. وله بعض الكتابات دونها وله من العمر ثمانية وعشرون عاماً، ما زالت موجودة، ويعتقد البعض أنها أنسج من كتابات ملا صدرا رغم أنها تقرير لكلماته، أي - كما يعتقد بعض الأساتذة القدماء - إنه أقدر على التعبير عن أفكار ملا صدرا من ملا صدرا نفسه.

### **لماذا تصدى فيلسوف الغزالى لمحاربة الفلسفة؟**

- يتعجب الانسان من الغزالى، فكتابه (تهاافت الفلاسفة) ألف قبل توجهه إلى التصوف، فهو مكتوب بلغة الاشاعرة وعلى طريقتهم، فقد كتب التهاافت عندما كان في بغداد، وأما في أواخر حياته فإنك تجد آثاره مليئة بتمجيد العقل، وأنا أثبتت هذا بأدلة متعددة، فإنك تجد عنده حول «المبدأ والمعاد» نفس آراء ملا صدرا، وفي الاستدلال على المعاد يعتمد نفس طريقة الشيخ.

ولكن مشكلة الغزالى تعصبه الشديد للمذهب السنى مثلاً، يروى العامة والخاصة عن النبي ﷺ: «أول ما خلق الله روحى» أو «أول ما خلق الله نورى» بينما يقول هو في مقدمة تفسيره (جواهر القرآن): «إن الله تجلى للناس عامة ولأبى بكر خاصة» وأنا فتشت عن مصدر هذه الرواية كثيراً إلا أننى لم أجدها. لا أعلم، لعله هو الذي وضعها! وكذلك حول الأحاديث الواردة عن فضائل أهل البيت ؑ فإنه يبتعد عنها رغم رواية السيوطي وغيره لها بينما غيره من علماء السنة يتوقفون ملياً عند هذه الأحاديث، فاما الرومي (صاحب المثنوى) يشرح الغدير «من كنت مولاه» بشكل جميل جداً.

وأما «الفيض الكاشانى» الذي درس على ملا صدرا من صغره ويحترمه أشد الاحترام فإنه يهتم بنقل عبارات أستاذه في ما كتبه (الفيض) حول الفلسفة. إلا أنه عرفاني أكثر مما هو فيلسوف. وفي كتابه «الوافى» الذي هو شرح لأحاديث «الأصول من الكافي» يفسر بعض الروايات بشكل أكثر اتقاناً من ملا صدرا نفسه. فقد جمع «الفيض

حوالى ثلاث روايات عن الامام موسى بن جعفر ؑ لسانها يكشف عن كونها كلام الامام ؑ، بحيث يقول أحد الأشخاص: إنني أقطع بتصدور هذه الروايات حتى لو كان الشمر هو الذي يرويها، ومن هذا القبيل رواية «عمران السابق» عن الامام الرضا ؑ، فإنها تبين كثيراً من الأمور ولكن بلحن خاص لا هو فلسفى ولا هو عرفانى، ولكن لا يمكن فهمها إلا من تسلح بفهم فلسفى عميق. وهذا الأمر مسلم عند كثير من العلماء. يقول المرحوم الميرزا أحمد الكھائي الخرسانى: «دعانى أبي وقال لي: لا يمكنك فهم هذه الأحاديث (الواردة عن الأئمة ؑ) ما لم تدرس مقدمات الفلسفة». يجب على الإنسان أن يعلم أن المبدأ الأول هو عين الوجود، ويعلم ماذا يتربى على القول بأن له ماهية؟ وبعد ذلك يذهب إلى روايات الأئمة ؑ؛ ليرى أن ما يصرح به العرفاء من كون حقيقة الذات لا اسم لها مأخذ من الروايات.

توجد في الكافى رواية يسأل فيها الامام ؑ أنه تعالى شيء أو غير شيء؟ فيقول ؑ: شيء بحقيقة الشيئية، والمراد الموجود بحقيقة الوجود أي لا شيء غير الوجود. ثم ترد بعض الاصطلاحات العجيبة في الرواية ويقول الامام ؑ ما حاصله: «كل ما يرد في أذهانكم فهو من صنع أوهامكم»، إلى أن يقول: «حقيقة الذات لا اسم لها» (وبالتأكيد هذا ما أفهمه من الرواية). والفلسفه أيضاً يستدلون بالآيات ويقولون بأن الذات لا اسم لها. وللقيصرى حاشية على «فصوص الحكم» (يؤكد فيها هذا المضمون).

### **من يستطيع أن يفهم الفلسفة ويفهمها؟**

إن الاشتغال بالفلسفه له مقدمات ولوازم، فالفلسفه تزيد دارساً يفهم شيئاً من الفيزياء، والعلوم الطبيعية، (وكذلك أن يغير قسماً من مباحث الفلسفه)، وعلى دارس الفلسفه أن يكون من الطلاب الفضلاء المحصلين.

ورغم أن قسم الطبيعيات من الفلسفه على حاله إلا أنه لا يزال هناك فائدة من دراستها فأنا درست كتاب «القانون» لابن سينا بهدف الاطلاع على مباحث النفس فيه، وأما قسم الطب فليس مهماً في هذه الأيام، مع أننا يمكن أن نستفيد من بعض الأدوية المذكورة فيه، ونستعيض بها عن بعض الأقراص الكيمائية التي توصف كمسكن.

### **هل من حاجة لايجاد نوع من التحول في الفلسفة؟**

نعم، لا بد من إحداث نوع من التحول والتجدد في الفلسفه، رحم الله «كوريان»

الكاشاني» بين الفلسفه والعرفان والأخبار. واهتمامه بالأخبار ناشيء من لقائه ودرسه على «السيد ماجد البحريني» وكان أستاذه ملا صدرا يمنعه من التواصل مع البحريني، إلا أنه لم يلتزم بذلك وإنجذب إلى درسه، وتأثر به؟

### - الفلسفة قليلة الرواج في الحوزة العلمية في مشهد، لماذا؟

وضع الفلسفه في قم أفضل منه في مشهد، فقد تعرض «السيد الميلاني» للاهانة والليناء؛ لأنه فيلسوف تبعاً لأستاذه «الشيخ محمد حسين الأصفهاني» (الذي كان من العلماء الزهاد من الدرجة الأولى وقلّ نظيره في التقوى والعلم معاً).

معارضة الفلسفه في مشهد لها تاريخ يرجع إلى زمان «الميرزا مهدي الأصفهاني» تلميذ «الميرزا حسين الثنائي». فهو في البداية اختار مسلك «الأخوند ملا حسين قلي الهمданی» و«الشيخ مرتضى البهاري» و«السيد مرتضى الكشيمري» فكان كثير الصوم، والصلوة، والمداومة على الأذكار الواردة عن الأئمة عليهم السلام.

روى لي السيد الخوئي، سمعت أيضاً من السيد الميلاني عن «الشيخ أبي القاسم الأصفهاني» (الذي كان أستاذًا للسيد البروجرودي) أنه يقول: أعطاني الشيخ الثنائي خمسين ديناراً وقال لي: إذهب إلى إيران واصرفها على علاج «الميرزا مهدي الأصفهاني». فعلنا وتحسن حاله وتعافى من مرضه، ثم بعد ذلك يصادق الشيخ أحمد الأشتياياني الذي كان تلميذاً للثنائي أيضاً، وكان الميرزا مهدي الأصفهاني ينزل في ضيافته في بعض الأحيان، وينقل الأشتياياني: أنه (الأصفهاني) يقرأ أمامي كتاب «الشواهد الربوبية»، فوجدت أن فهم المطالب الفلسفية من أصعب الأمور عليه. وعلى أي حال لم يكن الميرزا مهدي معادياً للفلسفه في البداية، إلا أنه بعد انتقاله إلى اصفهان هجر العرفان، وشرع في حربه ضد الفلسفه.

## قراءات

### ❖ قراءة في كتاب

إعداد موسى حسين صفوان

